

الدور والفن في الكسوع

الموشحات :

نشرت « الراديو المصري » حديثاً في الموشحات الأندلسية للدكتورة سهير القلاوي، بينت فيه نشأة فن الموشح في الأندلس، وتبعت مراحل تطوره المختلفة، إلى آخر عهد العرب بإسبانيا، وما بعد جديداً في هذا الموضوع ما ذكرته من أثر الموسيقى في فن التوشيح إذ قالت: « وفي عصر ملوك الطوائف برزت مدينة أندلسية بمتنفس أروها في الحياة الاجتماعية كلها وفي الناحية الفنية منها خاصة، تلك هي مدينة أشبيلية بما قد عرف عن أهلها من ميل للفن وما قد شهروا به من إتقان لفن الموسيقى وشفق الشعب كله بها، وأثرت تلك البيئة المفعمة بالموسيقى في هذا الفن أبلغ الأثر، فقد قدمت له فتوناً من التجديد والحياة لم يكن ليمرفها شعر حديث ولا قديم »

وانتقلت بعد ذلك إلى ما نشأ عن هذا التأثر من استئثار الموسيقى بالشعر كما استأثر به فن البديع في الشرق، وكاف الوشاحون بالموسيقى حتى أغفلوا المعنى في سبيلها، وبياع هذا الكاف حد التكلف الذي يميل بالموشح إلى الافتعال والتعسف ليخرج أنفاساً وألحاناً، ولكن سرعان ما تقوم حركة بين الشعراء لمقاومة هذا التكلف، فيأخذون من هذا التيار ما قد أتاح لهم من سميات موسيقية تجد فيها الماني الشعرية حياة جديدة، وخاصة فن النزل للامة طبيعته للموسيقى، ويزدهر الموشح في النزل حيناً، ولكن قوماً يخرجون به إلى المدح والوصف والهجاء والرتاء وسائر أغراض الشعر، فيحملونه ما لا يطيق، ويميل التوشيح بذلك إلى طوار آخر من أطوار التكلف، لأن موسيقاه المهله اللينة المتجددة تلائم أنواعاً من الماني دون سواها؛ ولكن هذه المحاولة تنكشف عن كسب جديد لفن الموشح، فقد فتحت له آفاق الوصف ووصف الطبيعة بالذات على نحو لم يكن يعرفه الشعر العربي، وإذا هذه الطبيعة المتقلبة الفائرة بالحياة لا يلائمها إلا مثل

هذا الشعر الفائر القوي بموسيقاه، ونبدأ حركة شعراء الطبيعة منذ ابن سهل قوة ولسكنها تشتد وتزداد على الأيام قوة حتى تصل عند آخر شعراء غرناطة، عند ابن زمرك، إلى أقصى درجات قوتها وجودتها »

وتتوالى الأحداث على الدولة المرينية بالأندلس فتتمتع منها بقاع يشمر الشعراء بالحنين إليها وإلى عهدهم فيها، ويمتزج هذا الحنين بالشعور بجمال الطبيعة، فيفتتح باب من الشعر لا يليق به شيء مثل الموشح. وكان الدكتورة سهير تضيف بذلك موضوعاً للشعر غير الموضوعات المعروفة عند شعراء العرب والتي يقال إن الأندلسيين لم يخرجوا عنها، وإنما كان تجديدهم في الوزن والقافية، ذلك الموضوع هو الحنين إلى الوطن الممتزج بوصف جمال الطبيعة

وأعود إلى ما بدأت به الدكتورة بحتمها من الكلام على أولية فن الموشحات، فقد ناقضت ابن خلدون في نصه على أن المخرج له هو مقدم بن مفاخر، وقالت إن الأندلسيين عرفوا قبله تخميس الأبيات في آخر العصر الأموي وأول عصر ملوك الطوائف الذي عاش فيه المخرج، ولسكنها لم تأت بمثل لذلك تستند إليه مناقضتها، واعلمها استخلصت ذلك من أقوال بعض المؤلفين، وقد ذكر ابن بسام في « النخبة » اسماً آخر للمخرج الموشحات هو محمد بن حمود العمري الضرير. على أن التخميس لا يلزم أن يكون توشيحاً.

لونه من الشعر المصري :

نشرت « الأهرام » الأبيات التالية للأستاذ محمد الأسم تحت عنوان « عذراء قنا » :

عذراء من أرض قنا شريفة المحلة
أفيتها عريانة لم تستتر بحلة
قبلها فقهت ضاحكة من قبلي
ولم أزل التهما حتى شفيت غلتي
حبيبتي تلك وما عنيت غير (قلتي)

وهذه الأبيات الظارفة تمثل الروح المصرية الفكهة، كما

يمثلها قول الشيبين في (القلة) أيضاً :

« جابه من التربة في الضحك والكركرة »
« والبوسة منها حلوة زى المكرة »

وكما مثلها منذ قرون الشعراء المصريون من أمثال الهاء زهير
وأبي الحسين الجزار والسراج الوراق ؛ ومما يلاحظ شبه أبيات
الأستاذ الأسمري بما كان يقوله الشعراء في تلك المصوّر في وصف
الأشياء التافهة كقول أحدهم في مسبحة :

وسبحة مسودة لونها يحكي سواد القلب والناظر
كأنني عند اشتغالي بها أعمد أياك يا هاجري

ولقد كان بعض المتصدين لتاريخ الأدب يميّون هذا اللون
من الشعر ، لأنه يقال في الأشياء التافهة ، وقامهم أن كل شيء
يصلح موضوعاً للأدب مادام موضع حس الأديب ومناط ضموره .

التنزل في الفرم :

قرأت في مجلة « آخر ساعة » تحت عنوان « قدم بتبسم »

ما يلي :

« تقول فلورا تريستان : لم أر بين الشعراء على كثرتهم من
عنى بالتنزل في قدم محبوبته ... هذا المصو الذي لولاه ما اندفعت
صاحبتة إليه . ولكن هناك بيتاً واحداً من الشعر قاله فكثور
هو جوف في هذا المصو :

« كانت قدمها تبدو باسمه بالقرب من قدمي »

لقد وجد إذن من تفنى بقدم محبوبته ، ولكن ما أقيح
الصورة ! من بتصور قدماً بتبسم ؟ إن نملاً فاغراً فاه قد يستطيم
أن يتناب ... ولكن القدم لا تبسم »

وليست الصورة قبيحة ، لأن الشاعر يريد بإبتسام القدم أنها
مشرفة ناضرة ، والنمل الفاغرة فاهها قد يصح تناؤبها إذا لوحظ
في صورتها التناقل والتراخي ، لأن مدار الاستمارة على ملابساتها ،
ولكن الصورة ، وإن نقيت عنها القبح ، ليست بشيء .

ثم أقول : وكذلك أهل شعراء العرب التنزل في القدم ،
ولم يخطئ ذلك ، فإنا وثقنا عليه ، إلا لنصيب بن رباح إذ قال :

تخطو على الأرض ، ليت القلب متبسط

تخطو على جانبيه هذه القدم

إذا مشت تركت أقدامها أنراً

فوق الثرى كاد مثل الركن يستلم
وهناك شيء مثل هذا ، في الشغف بالقدم ، ولكنه غزل
عملي ، إن صح أن يكون الغزل عملاً ؟ ذلك أن المأمون قبل قدم
جاريته « عرب » فقالت له : والله يا أمير المؤمنين لولا ما شرفها
الله من وضع فك الكرم عليها أقطمها . وحافت ألا تنفـل هذه
القدم إلا بجاء الورد وقالوا إنها برت فظلت حياتها لا تنفسها إلا
بماء الورد .

مصطلحات المجمع اللغوي :

يتساءل كثير من الناس عن الكلمات العربية التي يضمها
مجمع فؤاد الأول للغة العربية في العلوم والفنون والشئون المختلفة ،
وبين هؤلاء التسائلين من يهم المجمع بالكمل والتفصير في مهمته ،
وقد يكون لهم العذر في ذلك ، لأنهم لا يكادون يرون شيئاً من
أعماله وآثاره ، ولكن ليس معنى ذلك أنهم على حق في كل ما
يرمون به المجمع ، فهو يمسح وإن كان بطيئاً متوانياً ، فلم تذهب
دورانه الماضية عبثاً ، بل أنتج وإن كان نتاجه يجمع إلى القلة العزلة
والانزواء .. بدليل أنه لم يسل إلى أولئك التسائلين لأنه لم ينشر
كما يجب أن ينشر ، وخاصة بعد أن توقفت مجلة المجمع عن الظهور
من جراء الحرب الماضية ، ولعلها تستأنف الظهور قريباً ، فقد
أعدت مواد المصو الخامس ، ويقال إنه قد بدى بطبعه .

وضع المجمع مصطلحات عربية تزيد على عشرة آلاف مصطلح
في الكهرباء واللاسلكي ، والاقتصاد السياسي ، والطب والرسم
والموسيقى والطبيرة والكيمياء والهندسة والقوانين وعلوم الأحياء
وفن المارة والشئون العامة . وقد استخدم بعض هذه المصطلحات
في الكتب المدرسية ، وشاع كثير منها في البلاد العربية حتى إن
وزارة العدل العراقية أدخلت مصطلحات القانون المدني التي
وضعها المجمع في قانونها الجديد ، ولذلك طبعت هذه المصطلحات
مستقلة في كتيب نشرته في العراق ..

أما مدى انتشار هذه المصطلحات في مصر فليس يبدو مجموعة
منها (هي ما تم من سنة ١٩٣٤ إلى ١٩٣٩) طبعتها وزارة
المعارف وتبيعها لمن يطلبها ، وأكثر الناس لا يملكونها ، وليس

على عظام شأنها ، فترية الشعب ، جمهوراً وتلاميذ مدارس ، تربية فنية قوامها إراز الواهب وتمهد الملكت وترقية الذوق العام ، ليست بالأمر الهين اليسير الذى تستطيع أن تستقل به اللجنة الزرع إنشاؤها بوزارة المعارف ، بل هو يحتاج إلى جهود أكبر من ذلك ، والمأمول أن تكون هذه اللجنة أولى الخطوات فى هذا الطريق .

إن هذا الشعب تكمن فيه بذور الفن ، وإننى أعتقد أن الإنسان على المعموم فنان بالطبع ، فهو إن لم يكن منتجاً ، متذوق لجمال أى ناحية من نواحي الفنون ، وليس أصلح للناس ولا أنفع لهم من استفلال طبائهم الفنية فى ترفيتهم وتهذيب نفوسهم ...

وما يؤسف له أن الحياة الفنية أصبحت عندنا فى غاية الاضطراب والفوضى ، تكثر فيها العناصر الدخيلة التى يموزها الاستعداد أو تنقصها الدربة ، ومن وراء ذلك ملكت مقبورة ومواهب مهملة ...

وإذا كانت الدولة تنفق مبلغاً كبيراً من المال فى استقدام الفرق الأجنبية لترقية فن التمثيل وإرضاء أذواق الطبقة المالية ، فإن الطبقات الأخرى من الشعب لأحوج إلى هذه العناية بدلا من أن تتركها فريسة للمتجرين بالفنون ، المهابطين بها فى سبيل الإثراء وجمع الأموال ...

وأظن أنه قد مضى ذلك العهد الذى كنا فيه نجمل الأحياء التى ينزل بها (الخواجات) وتزين الطرق التى يسلكونها ، وتدع المواطنين تقضى الأتربة عيبتهم ، وتغلا روائح العفونة أتوفهم ، ويهاجمهم الثباب من كل حدب وصوب . مضى ذلك العهد ولكننا صرنا إلى حال لا يهتم فيها بالأجانب ولا بالمواطنين !

ولا سبيل إلى تهذيب ذوق الجمهور إلا بالنظافة وتويده على الإحساس بالجمال ، والشعور بحال المحسّات طريق إلى إدراك الجمال المعنوى ، وهذه هى غاية التربية الفنية المنشودة ، ومن وسائلها تحقيق برنامج اللجنة الفنية التى تنشأ الآن وزارة المعارف والنّى أرجو لها التمسيد والتوفيق .

« العباسى »

هناك من الكسب ما يفرى المكاتب ودور النشر بنشرها .

وهناك مصطلحات وضعتها اللجان الفرعية ولم يقرها الجمع بمد ، وقد رأى أن تعرض هذه المصطلحات على الهيئات العلمية المختلفة ، وأن تتاق اللجان ما برد من الملاحظات عليها ، وخصوصاً المصطلحات التى وضعتها لجنة المصطلحات الطبية بالجمع فى علوم التشريح ووظائف الأعضاء والأنسجة وأمراض الجلد وغيرها لأن هذه المصطلحات الطبية التى تبلغ نحو أربعة آلاف مصطلح قد لا يتسع وقت الجمع للنظر فيها ، فيمكننى ببحث اللجنة إياها على ضوء ما تتلقاه من ملاحظات الهيئات العلمية ، للوصول إلى اللفظ العلمى الصحيح ؛ وذلك أن الجمع رأى أن تعرض اللجنة عليه المصطلحات الطبية الشائنة التى تتناولها أقلام الكتاب والأدباء ، أما المصطلحات التى تتعلق بالتنصيلات الفنية فإن لم يتسع لها وقت الجمع يكتبنى فيها بعمل اللجنة . ولذلك كتبت اللجنة إلى الهيئات العلمية أنها لا ترى مانعاً من أن يستعمل المؤلفون فى كتبهم هذه المصطلحات بشرط أن ينصوا على نسبتها للجنة حتى لا يظن أنها من قرارات الجمع النهائية ...

التربية الفنية :

نشرت « الأهرام » أن وزارة المعارف تعد مرسوماً بإنشاء لجنة استشارية للفنون الجميلة ، تختص بإنشاء متاحف الفنون الجميلة والإشراف الفنى على تنظيمها وتنسيق مروضاتها واقتناء الطرف وحفظها وترميمها ، وتتنظر فى سياسة تعليم الفنون الجميلة فى مصر وفى الخارج وتعمل على الاشتراك فيها ، وتقدم الإعانات للجمعيات الفنية لتشجيعها ، وتنشىء الجوائز والمكافآت للفنانين ، وتعمل على حماية الآثار والمواقع التاريخية والمناظر الطبيعية والميادين العامة وما يقام فيها من نصب وتماثيل ومنشآت تذكارية ، وتضع الاقتراحات والرغبات المتصلة بوسائل تشجيع رجال الفنون من أبناء البلاد ، وتربية الملكت الفنية وتهذيب الذوق عند الجمهور .

وهذا البرنامج الضخم يتلخص فى كلمتين هما « التربية الفنية » وليس هذا التلخيص للتقليل ، إنما المقصود حصر الفكرة للدلالة